أَثَرُ اَلْفَصْلِ فِي نَقْدِ تَرَاكِيبِ الأَوجِهِ النَّحْوِيَّةِ عِنْدَ أَبِي حَيَّانَ (٧٤٥هـ) فِي اَلْبَحْرِ اَلْمُحِيطِ

The chapter on criticizing the structures of grammatical aspects according to Abu Hayyan (745 AH) In Al-Bahr Al-Muhit.

البَاحِثُ
عَبَّاس حُسَين كَاظِم.
astadhb851@gmail.com

بإشرافِ الأستاذ الدكتور
شَعْلَان عَبْد عَلِي سُلْطَان
hum.shaalan.abd@uobabylon.ed

مُلَخَّصُ الْبَحْثِ.

يَضُمُّ القرآنُ الكريمُ منظوماتٍ فكريةً متعددةً يكشفُ عنها بناءُ النصِّ، وتركيبُهُ الدقيقُ الذي يحملُ في مكنوناتِه أسرارًا عجيبةً لا يدركُها إلاّ الحذِقُ الفَطِنُ. ولقد كان لمصنفي كتبِ التفسيرِ الذين اهتموا بالقرآنِ مِنَ الجانبِ اللغويّ والنحويّ دورٌ بارزٌ في الكشفِ عن أسرارِ تراكيبِهِ، وما تحملُهُ من نكاتٍ دلاليةٍ، وسماتٍ أسلوبيةٍ؛ إذ إنَّ هولاءِ المفسرينَ المعربينَ للقرآنِ دَأَبُوا عَلَى التقليبِ لمُحتملاتِ النصِّ القرآنِيّ، وتوجيهِهِ بتوجيهاتٍ متعددةٍ تتفاوتُ فيما بينها قوةً، وضعفًا، وقد لا يلتفتُ المُفسِّرُ إلى صورةِ التركيبِ المنبثقةِ عن هذا التوجيهِ، هل يحفَظُ للتركيبِ فصاحتَهُ، وسلامتَهُ، ويجعَلُ منه تركيبًا مُنْبِئًا عن المعنى القرآنيّ بوضوحٍ، وقربٍ، أو يجعلُ منه تركيبًا مفككًا قلقًا لا يتواءمُ مع شأنِ القرآنِ، وعلوّ قدرِهِ، وبلاغتِهِ المعهودةِ، أو يجعُلُ منه تركيبًا مفقودًا لا وجودَ له في اللسانِ العربيّ؟ لذا نجدُ أبَا حيَّانَ يرصدُ التراكيبَ المترتبةَ على التوجيهِ محاولاً تتبعُ مدى صلاحيةِ، أو إمكانيةِ الوجهِ النحويّ؛ اعتمادًا على الصورةِ التركيبيةِ التي عليها الوجهُ النحويُّ. وقد كانَ للقضايا النحويةِ صدًى كبيرٌ في الرصدِ عن هذه التراكيبِ؛ إذ نالَ الفصلُ أثرًا بالغًا، وحظًّا وافرًا في إماطةِ اللثامِ عن التراكيبِ الصادرةِ مِنَ توجيهاتِ المفسرينَ فتارةً تكونُ بواسطتِهِ فصيحةً تتوافقُ والقرآنَ، وتارةً تكونُ ضعيفةً، مفككةً، قلقةً، وأخرى تكونُ مفقودةً لا أثرَ لها في كلامِ العربِ. وهذا ما كشفُ عنه البحثُ.

الكلمات المفتاحية : أَثَرُالفَصْلِ، فَصَاحَةُ التَّرْكِيبِ القُرْآنِي، البَحْرُ المُحِيطُ لِأَبِي حَيَّانَ الأَنْدَلُسِيّ، أَثَرُ الفَصْلِ فِي ضَعْفِ التَّرْكِيبِ، وَتَفَكُّكِهِ، وَقَلَقِهِ، أَثَرُ الفَصْلِ فِي امْتِنَاعِ وُرُودِ التَّرْكِيبِ فِي لِسَانِ العَرَبِ.

Summary of the research

The Holy Qur'an includes multiple intellectual systems that are revealed by the structure of the text and Its precise composition, which contain wondrous secrets that only the astute person can master. Compilers of interpretation books who paid attention to the Holy Qur'an from the linguistic and grammatical aspects had a prominent role in revealing the secrets of Its compositions and the semantic Witticisms and stylistic features they contain. These interpreters of the Qur'an persevered in Inspecting the possibilities of the Qur'anic text and directing it in multiple directions that vary in strength and weakness. The interpreter may not pay attention to the form of structure emerging from this guidance. Does he preserve the composition's eloquence and integrity, and make it a composition that expresses the Qur'anic meaning clearly and closely? Does he make it a disjointed and weak structure that Is not compatible with the importance of the Qur'an, Its high position, and its usual eloquence? Or does it make it a missing structure that does not exist in the Arabic language? Therefore, we find Abu Hayyan monitoring the structures resulting from the directive, trying to trace the validity or possibility of the grammatical aspect, depending on the structural form that has the grammatical face. Grammatical issues had a great impact in searching for these structures. The chapter had a great impact and had great success in revealing the structures issued by the interpreters' directives. Sometimes they were eloquent and consistent with the Qur'an, and sometimes they were weak, disjointed, and anxious. Other structures are missing and have no trace in Arab speech. This Is what the research revealed.

أَثَرُ اَلْفَصْلِ فِي نَقْدِ تَرَاكِيبِ الأَوجِهِ النَّحْوِيَّةِ عِنْدَ أَبِي حَيَّانَ (٧٤٥هـ) فِي اَلْبَحْرِ اَلْمُحِيطِ

البَاحِثُ
عَبَّاس حُسَين كَاظِم.

الأستاذ الدكتور
شَعْلَان عَبْد عَلِي سُلْطَان

المُقَدَّمَةُ

الحَمْدُ لِلَّهِ الذي ليسَ لِصفَتِهِ حَدٌّ مَحْدُودٌ، وَلَا نَعْتٌ مَوجُودٌ، وَلَا وَقْتٌ مَعْدُودٌ، وَلَا أَجَلٌ مَمْدُودٌ، فَطَرَ الخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ، وَنَشَرَ الرِّيَاحَ بِرَحْمَتِهِ، وَوَتَّدَ بِالصُّخُورِ مَيدَانَ أَرْضِهِ، والصَّلَاةُ، وَالسَّلامُ عَلَى هَادِي الأُمَمِ، مُنِيرِ الظُّلَمِ، جَامِعِ الكَلِمِ مُحَمَّدٍ بنِ عَبْدِ اللهِ، وَعَلَى آلِهِ مَصَابِيحِ الدُّجَى، ذَوي النُّهَى، أَعْلَامِ التُّقَى. أَمَّا بَعْدُ

فَقَدْ تَعَدَّدَتِ الدِّرَاسَاتُ النَّحْوِيَّةُ بِتَعَدُّدِ المَوضُوعَاتِ التي يَتَضَمَّنُهَا الدَّرْسُ النَّحوِيُّ، وَقَد كَانَ حَظُّهَا مِنَ القُرْآنِ الكَرِيمِ وَافِرًا؛ إذ نَالَتْ بِهِ شَرَفًا، وَازْدَادَتْ عُلُوًّا، وَبَهَاءً. وَبحْثُنَا المُوسُومُ ب(**أَثَرِ اَلْفَصْلِ فِي تَوْجِيهِ اَلتَّرْكِيبِ اَلْقُرْآنِيّ عِنْدَ أَبِي حَيَّانَ (٧٤٥هـ) فِي اَلْبَحْرِ اَلْمُحِيطِ**) قَدْ نَالَ حُظْوَةً، وَزَادَ رُتْبَةً؛ لِكُونِهِ يُعَدُّ مِن ضِمْنِ هَذهِ الدِّرَاسَاتِ. وَقَدْ جَاءَ بَحْثُنَا كَاشِفًا عَنِ التَّراكِيبِ المُنْبَثِقَةِ مِنَ التَّوجِيهَاتِ التي يُوجِّهُهَا المُفَسِّرُونَ المُعْرِبُونَ للنَّصِّ المُبَارَكِ، وَنَقْدُ هذه التَّرَاكِيبِ مِن قِبَلِ أَبِي حَيَّانَ بِوَاسِطَةِ مَعَايِيرَ نَحْوِيَّةٍ التَزَمَهَا؛ لِيَحْكُمَ عَلَى هذه التَّرَاكِيبِ بالفَصَاحَةِ، أَوِ الضَعْفِ، وَالقَلَقِ، وَالتَّفْكِيكِ، أَوِ الفُقْدَانِ، وَعَدَمِ وُرُودِهَا عَلَى لِسَانِ العَرَبِ. وكَانَ أَحَدُ هذه المَعَايِيرِ، هُوَ **الفَصْلُ**؛ إذ كَانَ لَهُ أَثَرٌ وَاضِحٌ فِي تَعَدُّدِ هذه التَّرَاكِيبِ التي كَشَفَ عَنها أَبُو حيَّانَ. وَمِنْ هذا كُلِّهِ أَرَادَ أَبُو حيَّانَ أَنْ يُحْمَلَ التَّرْكِيبُ القُرْآنِيُّ عَلَى أَحْسَنِ الوُجُوهِ، وَعَلَى أَحْسَنِ إِعْرَابٍ؛ لِكُونِهِ أَعظَمَ كَلَامًا عَرَفَتْهُ البَشَرِيَّةُ جَمْعَاءُ. وَقَد جاءَ البَحْثُ عَلَى مَطَالِبَ:

الأَوَّلِ: أَثَرُ الفَصْلِ، فَصَاحَةِ التَّرْكِيبِ القُرْآنِي، البَحْرُ المُحِيطُ لِأَبِي حَيَّانَ الأَنْدَلُسِيّ.

وَالثَّانِي: أَثَرُ الفَصْلِ فِي ضَعْفِ التَّرْكِيبِ، وَتَفْكُّكِهِ، وَقَلَقِهِ.

وَ الثَّالِثِ: أَثَرُ الفَصْلِ فِي امْتِنَاعِ وُرُودِ التَّرْكِيبِ فِي لِسَانِ العَرَبِ.

مَنْهَجِيَّةُ الْبَحْثِ

يَبَدأُ البَاحِثُ بِالتَّنْظِيرِ؛ لِمَدْخَلِ المَسْأَلَةِ، وَبَعْدَ ذَلكَ بِعَرْضِ الآيَةِ التي تَعَدَّدَتْ أوجِهُهَا عِنْدَ المُفَسِّرِينَ، وَبَعْدُ بِذِكْرِ آرَاءِ المُفَسِّرِينَ المُعربينَ الذينَ سَبَقُوا أَبَا حَيَّانَ، وَذِكرِ نَقْدِ أَبِي حيَّانَ؛ لِلوَجْهِ الذي تَسَبَّبَ بِفَصَاحَةِ التَّرْكِيبِ، أَو ضَعْفِهِ، أَو فُقْدَانِهِ، وَذِكْرِ المُفَسِّرِينَ المُتَأَخِرِينَ بَعْدَ ذلك. وَفِي نِهَايَةِ المَسْأَلَةِ يُعَلِّقُ البَاحِثُ.

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ، وَالتَّسْلِيمُ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَآلِ مُحَمَّدٍ.

أَثَرُ الفَصْلُ فِي تَوْجِيهِ اَلتَّرْكِيبِ اَلْقُرْآنِيّ عِنْدَ أَبِي حَيَّانَ (٧٤٥هـ) فِي اَلْبَحْرِ اَلْمُحِيطِ

المَطْلَبُ الأَوَّلُ: أَثَرُ الفَصْلِ، فَصَاحَةِ التَّرْكِيبِ القُرْآنِي، البَحْرُ المُحِيطُ لِأَبِي حَيَّانَ الأَنْدَلُسِيّ،

لاشكَ بـأنّ النحـاةَ قـدامى ومحـدثينَ قـد ذكـروا الفصـلَ أو مـا أطلقـوا عليـه بـالاعتراضِ فـي مصـنفاتِهم بكثـرةٍ إلاّ أنّ الاوائـلَ لـم يضـعوا لـه حـدًّا جامعًـا مانعًـا كـأكثرِ الأصـولِ التـي وضـعوا لهـا حـدودًا، أي لـم يعيّنـوا لنـا مضـمونَه، ويصـرّحوا بأبعـادِه؛ لـذا يقـولُ أحـدُهم: " ولفـظُ (الفصـلِ) مسـتخدمٌ بكثـرةٍ فـي التـراثِ النحـويّ ، ومـع ذلـك فلـيس بـينَ النحـويين مَـنْ حـددَ مضـمونَه وأوضـحَ أبعـادَه "[1] وذا الفصـلُ الـذي ذكـروه يقـعُ بـينِ لفظـينِ متلازمـينِ متـرابطينِ كالمبتـدَأ والخبـرِ، أو الفعـلِ والفاعـلِ وكـذا بـين المتضـايفينِ و المتعـاطفينِ والصـفةِ والموصـوفِ، أمَّـا المحـدثونَ فقـد حـدُّوه ورسـموا لنـا أبعـادَه فمـنهم مـن قـال: إنَّـه " وجـودُ صـيغة أو أكثـرَ بـين جزئـي التركيـبِ اللغـوي أو أجزائِـه التـي يتحـتَّمُ تواليهـا وتعاقبُهـا دون فاصـل بينهـا ، وهـذه الصـيغةُ أو الصـيغُ تعتـرضُ الترتيـبَ وتفصـلُ بـين أجزائِـهِ "[2] وهـذا الفاصـلُ تـارةً يكـون جملـةً أو شـبهَ جملـةٍ أو مـا يسـمَّى بضـميرِ الفصـلِ عنـدَ البصـريينَ أو العمـادِ عنـدَ الكـوفيين. والأخيـرُ سـيكونُ موضـعَ بحثِنـا فـي هـذه المسـألةِ. وهـذا الضـميرُ" يتوسـطُ بـين المبتـدأ وخبـره قبـل دخـولِ العوامـلِ اللفظيـةِ وبعـده إذا كـان الخبـرُ معرفـةً، أو مضـارعًا لـه فـي امتنـاعِ دخـولِ حـرفِ التعريـفِ عليـه كأفعـل مـن كـذا أحـد الضـمائر المنفصـلة المرفوعـة؛ ليـؤذنَ مِـن أولِ أمـره بأنـه خبـرٌ لا نعـتٌ؛ وليفيـدَ ضـربًا مـن التوكيـد. وتسـميه البصـريون فصـلًا، والكوفيـون عمـادًا "[3] وقـد بـيَّنَ سـيبويه سـببَ الإتيـانِ بـه بشـكلٍ لا غبـارَ عليـه إذ يقـول: " وإنمـا فصـل لأنـك إذا قلـت: كـان زيـد الظريـف، فقـد يجـوز أن تريـد بـالظريف نعتـا لزيـد، فـإذا جئـت بهـو أعلمـت أنهـا متضـمنة للخبـر"[4] أي أنـه يـؤتى بـه؛ لإزالـةِ اللـبسِ الـذي يعتـري الكلمـةَ المعرفـةَ ب(أل) بعـد المبتـدأ؛ لأنـه تحتمـلُ الخبريـةَ و الوصـفيةَ فعنـد الإتيـانِ بـه تحـددَ ذلـك المعرَّفُ بأنـه خبـرٌ عـن المبتـدأ لا صـفةٌ. ولهـذا الضـميرِ فوائـدُ تكمـنُ في ثلاثةِ أمورٍ صرّحْنا بالأمرِ الأولِ وهو التفريقُ بين الخبرِ والصفةِ وبقي اثنان هما :

أوَّلًا :- التوكيـدُ : حيـثُ " ذكـره جماعـة وبنـوا عليـه أنـه لا يجـامع التوكيـد فـلا يقـال زيـد نفسـه هـو الفاضل وعلى ذلك سماه بعض الكوفيين دعامة لأنه يدعم به الكلام أي يقوى ويؤكد.

ثانيًـا :- الاختصـاص : وكثيـر مـن البيـانيين يقتصـر عليـه "[5] والـدليلُ عليـه قولُـه تعـالى : " إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُـورُونَ "[6] فهنـا أفـاد الحصـرَ والاختصـاصَ. وهـذا مـا سنلتمسُـهُ فـي بعـضِ الآيـاتِ التـي جـنحَ إليهـا أبـو حيَّـانَ وأعلـنَ فيهـا عـن حقيقـةِ التركيـبِ، كقولـه تعـالى : ﴿**أولئـكَ علـى هـدًى مـن ربِّهـم وأولئـك هم المفلحون**﴾ **(سورة البقرة : آية ٥)**

اختُلـفَ فـي (هـم) فقـدَ ذكـرَ العكبـريُّ أنَّ " هـم مبتـدأ ثـانٍ و: (المفلحـون) خبـرُ المبتـدأ الثـاني، والثـاني وخبرُه خبرُ الأولِ "[7]

ويـرى أبـو حيَّـانَ أنَّـه " **يُحتَمَـلُ هـم أن يكـون فصـلاً، أو بـدلاً فيكـون المفلحـون خبـرًا عـن أولئـك، أو المبتـدأ والمفلحـون خبـرُهُ، والجملـة مـن قولـه: هـم المفلحـون فـي موضـع خبـر أولئـك ... وإدخـالُ هـو فـي مثـلِ هـذا التركيـبِ أحسـنُ؛ لأنَّـه محـلُّ تأكيـدٍ، ورفـعِ تـوهمِ مَـنْ يتشـككُ فـي المسـند إليـهِ الخبـرِ أو ينـازعُ فيـه، أو مَـن يتـوهمُ التشـريكَ فيـه** "[8] ولُـوحِظَ أنّ الشـيخَ قـد استحسـنَ هـذا التركيـبَ مختـارًا الفصـلَ لا البـدلَ لهـذا الضـمير (هـم)؛ ملاءمَـةً لقصـديَّةِ الآيـةِ الكريمـةِ التـي كانـت تخبـرُ عـن حـالِ المتقـينِ عنـدَ اللهِ تعـالى؛ لـذا فإدخالـه هنـا تأكيـدًا علـى أنهـم هـم المنعَّمـونَ والفـائزونَ بالجنـةِ يـومَ القيامـةِ. والباحـثُ يـرى أنَّ حُسْـنَ هـذا التركيـبِ وفصـاحتِهِ؛ مرهـونٌ بوجـودِ ضـميرِ الفصـلِ، ولتعـددِ وظائِفِـهِ فـي تركيـبِ هـذه الآيـةِ المباركـةِ والـدليلُ علـى ذلـك قـولُ الزمخشـريِّ عنـدَ تفسـيرِه للآيـةِ الكريمـةِ " وهـم فصـلٌ، وفائدتـه: الدلالـة علـى أن الـوارد بعـده خبـرٌ لا صـفةٌ، وتوكيـدٌ، وإيجـابٌ. إنَّ فائـدةَ المسـندِ ثابتـةٌ للمسـندِ إليـه دونَ غيـرِه "[9] فكمـا رأينـا أنـه بهـذه الآيـةِ قـد أفـادَ التفريـقَ بـين الخبـرِ والصـفةِ، والتوكيـدَ، والاختصاصَ.

المَطْلَبُ الثَّانِي: أَثَرُ الفَصْلِ فِي ضَعْفِ التَّرْكِيبِ، وَتَفْكُّكِهِ، وَقَلَقِهِ.

لا ريبَ أنَّ الفصلَ عارضٌ نحويٌّ يَطْرَأُ على التراكيبِ النحويَّةِ؛ لغرضٍ بلاغيٍّ، أو دفعِ لبسٍ يعتري التركيبَ. وهذا العارضُ تارةً يجعلُ التوجيهَ الذي ينشأُ منه التركيبُ القرآنيُّ فصيحًا، وتارةً يجعلُهُ ضعيفًا، مفككًا، قلقًا، متنافرًا. وهذا مِنَ الأولى أنْ يُتَجَنَّبَ مثلُهُ مع القرآنِ، وإنْ كانَ لَه وجهٌ محمولٌ عليه في غيرِ النصِّ القرآنِيّ. وسنعرضُ بعضَ الآياتِ التي اعترضَها الفصلُ، وكيف وجَّهَها المعربونَ؟ وأشكلَ على بعضِها أبو حيَّانَ؟ فمنها قولُ عَزَّ مَنْ قالَ: ﴿**يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرامِ قِتالٍ فِيهِ قُلْ قِتالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَإِخْراجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ**﴾ **(سورة البقرة : من آية ٢١٧)**

ثَمَّةَ خِلافٌ يَرِدُ بينَ المعربينَ في عَطْفِ (والمسجدِ الحرامِ)، وعلى أيِّ شيءٍ قَد عُطِفَ؟ فيرى الزجاجُ أنّه معطوفٌ على قولِهِ: (عَنِ الشَّهْرِ الْحَرامِ) والتقديرُ: يسألونك عن قتالٍ في الشهرِ الحرامِ و المسجدِ الحرامِ؛ لأنَّ القتالَ كان حقُّهُ عند المسجدِ.[10] والزمخشريُّ يرى أنَّه معطوفٌ على قولِهِ: (عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) ولا يجوزُ عطفُهُ على الهاءِ في (بِهِ)[11]؛ لأنّه لا يجوزُ عطفُ الظاهرِ على الضميرِ المجرورِ من دونِ تكرارِ الجارّ معه عندَ البصريينَ.[12] ويزعمُ ابنُ عطيَّةَ أنَّه معطوفٌ على قولِهِ: (عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) وهو الصحيحُ.[13] وما ذهبَ إليه الأخيرُ لم يُجَوِّزْهُ العُكْبَرِيُّ " لِأَنَّهُ مَعْمُولُ الْمَصْدَرِ وَالْعَطْفُ بِقَوْلِهِ «وَكُفْرٌ بِهِ» يُفَرِّقُ بَيْنَ الصِّلَةِ وَالْمَوْصُولِ وَالْجَيِّدُ أَنْ يَكُونَ مُتَعَلِّقًا بِفِعْلٍ مَحْذُوفٍ دَلَّ عَلَيْهِ الصَّدُّ تَقْدِيرُهُ: وَيَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ "[14] ويرى أبو حيَّانَ أنَّ عطفَهَ (على الشهرِ الحرامِ) " **مُتَكَلَّفٌ جِدًّا، وَيَبْعُدُ عَنْهُ نَظْمُ الْقُرْآنِ، وَالتَّرْكِيبُ الْفَصِيحُ** "[15] وما قالَهُ العُكْبَرِيُّ غيرُ جيِّدٍ عندَ أبي حيَّانَ؛ لأنَّ " فِيهِ الْجَرَّ بِإِضْمَارِ حَرْفِ الْجَرِّ، وَهُوَ لَا يَجُوزُ فِي مِثْلِ هَذَا إِلَّا فِي الضَّرُورَةِ "[16] والباحثُ يرى أنَّ علَّةَ ما أفصحَ عنه أبو حيَّانَ؛ هوَ بعدَه عنِ المعنى المرادِ من الآيَةِ، وتكلّفٌ لا حاجةَ إليهِ، وهذا ممَّا يولِّدُ ضعفًا في التركيبِ؛ لوجودِ الفصلِ الطويلِ بينَ العاطفِ، والمعطوفِ عليه. والعطفُ على البعيدِ مستكرهٌ. وهذا الفصلُ هو الذي جعلَ التركيبَ متكلفًا، وبعيدًا عَنْ نظمِ، وانسجام التراكيبِ القرآنيةِ. وقد حرصَ أبو حيَّانَ كُلَّ الحرصِ على فصاحةِ التركيبِ القرآنيّ، والابتعادِ عن الأوجهِ المضعفةِ لَه، وإنْ كانت هذه الأوجه مقبولةً، ومستساغةً خارجَ النصِّ القرآنِّي؛ ولذا فهذا الوجهِ الذي يراه أبو حيَّانَ بعيدًا قد يكونُ مقبولاً على الرُّغمِ مِن عِلَّتِه، وعدمِ وصولِهِ مرتبةَ الفصيحِ عندما يكونُ خارجَ النصِّ الكريمِ، لَكِنَّه لا يَرقى مرتبةَ نَظْمِ التركيبِ القرآنيّ.

ونلحظُ في موطنٍ آخرَ تنافرًا في التركيبِ بسببِ التوجيهِ الذي حملَهُ المعربُ على الآيةِ المباركةِ، ولُوحظَ ذلك في قولِهِ تعالى: ﴿**رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ**﴾ **(سورة الأنعام: من آية ١٢٨)**

اختُلِفَ في توجيه المستثنى منه لقولِهِ (إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ) فَذُكِرَت له وجوهٌ، هي:

الأوَّلُ: يرى أبو مسلمٍ الأصفهانيُّ أنّه مستثنى من قولِهِ (وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا) أي الأجلُ الذي سميتُه لنا إلاّ مَنْ أهلكتَهُ قبلَ الأجلِ المسمى. وقيلَ: الأجلُ الذي سميتُه لِكُفرِهِ وضلالِهِ.[17]

والثاني: يرى العُكبريُّ أنَّه استثناءٌ من الزمان الملحوظِ مِن المعنى؛ لأنَّ الخلودَ بطبيعتهِ يدلُّ على الأبدِ؛ فكأنَّه قالَ: خالدينَ فيها في كلِّ زمانٍ إلاَّ ما شاءَ الله. أي إلاَّ زَمَنَ مشيئةِ اللهِ تعالى.[18]

والثالثُ: إنّه مستثنى من جملةِ (قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا) أي من الخلودِ في النارِ.[19]
ويرى أبو حيَّانَ أنَّ ما ذهبَ إليه أبو مسلمٍ **" لَيْسَ بِجَيِّدٍ، لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ عَلَى مَا زَعَمَ لَكَانَ التَّرْكِيبُ إِلَّا مَا شِئْتَ، وَلِأَنَّ الْقَوْلَ بِالْأَجَلَيْنِ أَجْلِ الِاخْتِرَامِ وَالْأَجَلِ الَّذِي سَمَّاهُ اللَّهُ بَاطِلٌ وَالْفَصْلُ بَيْنَ الْمُسْتَثْنَى مِنْهُ وَالْمُسْتَثْنَى بِقَوْلِهِ: قَالَ النَّارُ مَثْواكُمْ خالِدِينَ فِيها وَفِي ذَلِكَ تَنَافُرُ التَّرْكِيبِ "**[20] أي لو كان التركيبُ إلاَّ ما شِئْتَ؛ لكانَ مِن الأجدرِ أنْ يُطَابِق قولَهُ: أجَّلْتَ. وهذا إشكالٌ عليه مِن حيثُ الصناعةُ النحويَّةُ، وكذا الفصلُ بأجنبيٍّ بينَ المستثنى، والمستثنى مِنه. فضلاً عن المعنى الذي سيؤولُ إليه هذا التوجيهِ، وهو باطلٌ كما أشارَ إليه أبو حيَّانَ. وهذا مِمَّا أدى إلى بُعدِ، وتنافرِ التركيبِ الناتجِ مِن توجيهِ الأصفهانيِّ. ومِن هذا نلحظُ الدقةَ المتناهيةَ التي يلحظُ فيها أبو حيَّانَ أسرارَ التركيبِ القرآنيِّ، والدلالاتِ المرتبطةِ بِهِ؛ إذ يقدِّمُ لنا صورةً تركيبيةً تناسبُ الوَجْهَ النحويَّ المُحتَمَلَ للآيةِ المباركةِ.
وفي هذا المورِدِ نلحظُ قلقًا في التركيبِ، كما في قولِهِ تعالى: ﴿**شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ **(سورة آل عمران: آية ١٨)**
اخْتُلِفَ في نصبِ (قائمًا بالقسطِ) وذُكِرَت في ذلك وجوهٌ، هي:
الأوَّلُ: منصوبٌ على القطعِ، والقطعُ يُرادُ بِهِ " مغايرةُ النعتِ للمنعوتِ في الإعرابِ، وذلك بأنْ يكونَ المنعوتُ مرفوعًا ونعتُه منصوبًا، وقد يكونُ المنعوتُ منصوبًا، ونعتُهُ مرفوعًا، وقد يكونُ المنعوتُ مجرورًا فيقعُ نعتُه مرفوعًا، أو منصوبًا، نحوَ: (مررتُ بحمدٍ الكريمُ أو الكريمَ)"[21]؛ لأنَّه نكرةٌ نُعِتَ بِهِ معرفةٌ، وهو(أُولُو الْعِلْمِ)؛ لأنَّ أصلَهُ القائمُ.[22]
والثَّانِي: منصوبٌ على الحالِ مِن اسمِهِ _ جلَّ اسمُهُ_ أو مِن: هو[23]. وذكرَ الزمخشريُّ أنّه منصوبٌ على أنّه حالٌ مؤكِّدةٌ منه،[24] أي: مِن الله تعالى، كقولِه تعالى: ﴿وهوَ الحَقُّ مُصَدِّقًا﴾.[25]
والثَّالِثُ: منصوبٌ على أنّه صفةٌ للمنفيِّ، فكأنَّهُ قِيلَ: لا إلَهَ قائمًا بالقسطِ.[26]
ويرى أبو حيَّانَ أنَّ ما قالَهُ الزمخشريُّ ليسَ **" مِنَ الْحَالِ الْمُؤَكِّدَةِ، لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ بَابِ: وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا، وَلَا مِنْ بَابِ: أَنَا عَبْدُ اللَّهِ شُجَاعًا. فَلَيْسَ قائِماً بِالْقِسْطِ بِمَعْنَى: شَهِدَ، وَلَيْسَ مؤكدا مضمون الْجُمْلَةِ السَّابِقَةِ فِي نَحْوِ: أَنَا عَبْدُ اللَّهِ شُجَاعًا، وَهُوَ زَيْدٌ شُجَاعًا. لَكِنْ فِي هَذَا التَّخْرِيجِ قَلَقٌ فِي التَّرْكِيبِ، إِذْ يَصِيرُ كَقَوْلِكَ: أَكَلَ زَيْدٌ طَعَامًا وَعَائِشَةُ وَفَاطِمَةُ جَائِعًا، لَكِن بَمَشِيئَةِ كُونِها كلّها مَعمُولَةً لِعامِلٍ واحِدٍ "**[27] وقد عُلِّقَ على مؤاخذةِ أبي حيَّانَ للزمخشريِّ في قولِه: (مِنَ الحالِ المؤكدةِ)؛ إذ يرى أنَّ كلامَه غيرُ ظاهرٍ؛ لكونِ الحالِ تُقسَمُ على قسمينِ، هما: حالٍ مؤكدة، وأخرى مبينةٍ " وهي الأصل، فالمبينة لا جائزَ أن تكونَ ههنا؛ لأنَّ المبينةَ تكون متنقلةً، والانتقالُ هنا محالٌ، إذ عَدْلُ الله تعالى لا يتغيرُ، فإنْ قيل: لنا قسمٌ ثالثٌ، وهي الحالُ اللازمةُ فكان للزمخشري مندوحةٌ عن قولِهِ مؤكدة " [28] ومِن هذا نلحظُ أبا حيَّانَ قد ردَّ ما قالَه الزمخشريُّ؛ لأنَّ قولَه سيؤدي إلى تشكيلِ تركيبٍ قلقٍ لا يتلاءمُ والقرآنَ، حيثُ نراه أتى بتركيبٍ يُقَرِّبُ به الصورةَ التي سيكونُ عليها التركيبُ القرآنيُّ الناتجُ مِن توجيهِ الزمخشريِّ الذي بِهِ **" يَفْصِلُ بَيْنَ الْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ وَالْمَعْطُوفِ بِالْمَفْعُولِ، وَبَيْنَ الْحَالِ وَذِي الْحَالِ بِالْمَفْعُولِ وَالْمَعْطُوفِ"**[29] فهذا الفصلُ سبَّبَ اضطرابًا في التركيبِ؛ لذا لا ينبغي حَمْلُ القرآنِ على مثلِ هذا.
ونرى في موضعٍ آخرَ، قدَ سببَ التوجيهُ في ظهورِ تركيبٍ يُنَزَّهُ عنه القرآنُ، كما في قولِهِ تعالى: ﴿**وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ (...) وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٣٧) وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ**﴾ **(سورة الذاريات : آية ٢٠ – ٣٨)**
أُثِيرَ خلافٌ حولَ عطفِ قولِهِ: " وَفِي مُوسَى " أعُطِفَتْ على قولِه: " وَتَرَكْنَا فيها " أم على قولِهِ: " وَفِي الْأَرْضِ آياتٌ لِلْمُوقِنِينَ " ؟

يرى الزجَّاجُ أنّه يجوزُ الوجهانِ.[30] وكذا الزمخشريُّ،[31] وابنُ عطيَّةَ،[32] قد قالا بهذا الرأيِّ بيدَ أنّ الرأيَ الثانيَ الذي قالَه الزمخشريُّ في عطفِهِ على قولِهِ: وَتَرَكْنا فِيها آيَةً) على تقديرِ " وَجَعَلْنَا فِي مُوسَى آيَةً، كَقَوْلِهِ: عَلَفْتُهَا تِبْنًا وَمَاءً بَارِدًا "[33] وهنا لا " حاجةَ إلى إضمارِ (وتركْنَا)، لأنَّه قد أمكنَ أنَ يكونَ العاملُ في المجرورِ (وتركْنَا) "[34] ويرى أبو حيَّانَ أنّ الرأيَّ الأوَّلَ من كونِه معطوفًا على قولِه: (وَفِي الْأَرْضِ آياتٌ لِلْمُوقِنِينَ) **"بَعِيدٌ جِدًّا، يُنَزَّهُ الْقُرْآنُ عَنْ مِثْلِهِ"**[35] لأنّه يرى أنَّ الظاهرَ مِن هذا التركيبِ معطوفٌ على قولِهِ: و(وتركْنا فيها)، أي في قصةِ موسى _ عليه السلامُ _[36] ومن هذا يُستظهَرُ للباحثِ أنّ ما قالَهُ الثلاثةُ الذينَ سبقَ ذِكْرُهم مكروهٌ، ولا يليقُ بنظمِ القرآنِ؛ لكونِه مستقبحًا في التركيبِ النحويِّ المصنوعِ. فكيفَ بأعلى تركيبٍ وأدقِّ نظمٍ؟ لذا فالأولى أنَ يكونَ معطوفًا على (وَتَرَكْنا فيها)؛ نظرًا لقربِهِ مِنْهُ، وتوافقِهِ مع التَّركِيبِ الفَصِيحِ.

المَطْلَبُ الثَّالِثُ: أَثَرُ الفَصْلِ فِي امْتِنَاعِ وُرُودِ التَّرْكِيبِ فِي لِسَانِ العَرَبِ.

نلمحُ أنَّ الفَصْلَ في هذا المورِدِ قد جاءَ بلونٍ آخرَ يجعلُ مِنَ التوجيهِ الذي يتركبُ مِنه التركيبُ ممنوعًا لا وجودَ له في اللهجةِ العربيةِ، وبكلِّ ثوبٍ له دلالةٌ، وتأثيرٌ على التركيبِ. وهذا ينبئ على أنَّ هذا العارضَ له قوةٌ تمكنُه مِنَ الدخولِ في جميعِ التراكيبِ الفصيحةِ، وغيرِها. سنلمحُ في الآيةِ الأولى، والثانيةِ رفضَ أَبو حَيَّانَ أنْ يكونَ هناك فصلٌ بينَ المعطوفِ، والمعطوفِ عليه؛ وذلك لطولِ الفصلِ بينهما. وفي الآيةِ الثالثةِ رفضَ أنْ يُفصَلَ بين الصفةِ والموصوفِ بأجنبيٍّ. وهذا كلُّهُ لا يُحمَلُ كتابُ اللهِ عليهِ.

وسيتضحُ ذلك مفصلاً عندَ الشروعِ ببيانِ الآياتِ، وما قيلَ فيها مِن توجيهاتٍ. قَالَ تعالى: ﴿**إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (45) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ (46) (...) وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ**﴾ **(سورة آل عمران: آية ٤٨)**

اخْتُلِفَ في عطفِ قولِهِ (وَيُعَلِّمُهُ) فقد أجازَ أبو عليٍّ الفارسيُّ عَطْفَهُ على قولِهِ: (يُبَشِّرُكِ)[37] وأجازَهُ الزمخشريُّ أيضًا.[38] والذي أجازَاه عندَ أبي حيَّانَ **" بعيدٌ جدًّا لطولِ الفصلِ بينَ المعطوفِ والمعطوفِ عليه"**[39] وقد أجازَ ابنُ عطيَّةَ أنْ يكونَ معطوفًا على قولِهِ (وَيُكَلِّمُ)،[40] وأجازَ أبو عليٍّ أنْ يكونَ معطوفًا على قولِهِ (وجيهًا)[41] وكذلك الزمخشريُّ.[42] وبهذا سيكونُ في محلِ نصبِ حالٍ على القولينِ الأخيرَينِ، والقولينِ الأوَّلَينِ سيكونُ في محلِ رفعٍ؛ لكونِه معطوفًا على خبرِ إنَّ.[43] ويرى أبو حيَّانَ أنَّ القولينِ الأخيرَينِ **"بِعِيدَانِ أَيْضًا لِطُولِ الْفَصْلِ بَيْنَ الْمَعْطُوفِ وَالْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ، وَلَا يَقَعُ مِثْلُهُ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ"** [44]

نلاحظُ أنَّ الأوجهَ التي عُرِضتْ؛ لتوجيهِه بعيدةً جاعلةً التركيبَ مفككًا؛ لطولِ الفصلِ بينَ المتعاطفينِ الذي ينبغي لا يفصلُ بينهما ذلك الفاصلُ الذي يُذْهِبُ ترابطَ التركيبِ؛ لذا نرى أبا حيَّانَ قد أبعدَها جمعاءَ؛ و صرَّحَ بأنَّ هذا لا يقعُ مثلُهُ في لسانِهِم، والباحثُ يعرضُ سؤالاً فإذا كان لا يَقَعُ مثلُهُ في لهجتِهم فكيفَ يردُ في القرآنِ الكريمِ؟! فأرى العزوفَ عن هذه التوجيهاتِ البعيدةِ مع القرآنِ الكريمِ بابَ التخلصِ مِنَ الوقوعِ في المحاذيرِ التي تُوصِلُ التركيبَ إلى حدِّ المَنْعِ؛ لعدمِ وجودِ ما يُماثِلُهُ في تراكيبِ كلامِ العربِ.

ونجـدُهُ تـارةً يـأتي بتوجيـهٍ لا يَصِـحُّ مَعَـهُ تَشْـكِيلَ تركيـبِ البَتَّـةَ إلاّ إذا حُمِـلَ علـى النـادرِ و "حَمْلُـهُ علـى النـادرِ تعسـفٌ لا يجـوزُ"[45] كمـا فـي قولِـهِ تعـالى: ﴿**الْحَمْـدُ لِلَّهِ الَّـذِي خَلَـقَ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَـلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ** ﴾ **(سورة الأنعام: آية ١)**

اخْتَلَفَـتِ الآراءُ فـي عَطْـفِ قولِـهِ (ثُـمَّ الَّـذِينَ كَفَـرُوا)، ذَكَـرَ الزمخشـريُّ أنّـه معطـوفٌ علـى قولِـهِ (الْحَمْـدُ لِلَّهِ) علـى معنـى أنَّ " اللهَ حقيـقٌ بالحمـدِ علـى مـا خَلَـقَ؛ لأنَّـه مـا خَلَقَـهُ إلاَّ نِعْمَـةً، ثـمَّ الـذين كفـرُوا بـه يعـدلونَ فيكفـرونَ نِعْمَتَـهُ "[46] ويـرى ابـنُ عطيَّـةَ أنَّ حـرفَ العطـفِ (ثُـمَّ) دالٌّ علـى " قـبحِ فعـلِ الـذينَ كفـروا؛ لأنَّ المعنـى أنَّ خلقَـه «السـمواتِ والأرضَ» وغيرَهمـا قـد تقـررَ، وآياتَـه قـد سـطعَت، وأنعامَـه بذلك قـد تبـينَ ثُـمَّ بعـدَ هـذا كلِّـه عـدلوا بـربِّهم، فهـذا كمـا تقـولُ: يـا فـلانُ أعطيتُـكَ وأكرمتُـك وأحسـنتُ إليـك ثـم تشـتمُني، أي بعـدَ مهلـةٍ مِـن وقـوعِ هـذا كلِّـه، ولـو وقـعَ العطـفُ فـي هـذا ونحـوِه بـالواو لـم يلـزمِ التـوبيخُ كلزومِـه ب ثُـمَّ "[47] أو يكـونُ معطوفًـا علـى قولِـهِ (خَلَـقَ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ) تخريجًـا مِنـهُ علـى معنـى " أنَّـه خلـقَ مـا خلـقَ ممَّـا لا يقـدرُ عليـه أحـدٌ سِـواه، ثـم هـم يعـدلونَ بـهِ مـا لا يقـدرُ علـى شـيءٍ مِنـهُ "[48] وذهـبَ إلـى هـذينِ القـولينِ البيضـاويُّ.[49] ويـرى أبـو حيَّـانَ أنَّ الوجـهَ الثـاني الـذي أجـازَهُ الزمخشـريُّ لا يجـوزُ مطلقًـا؛ لأنَّـه بـذلكَ يكـونُ معطوفًـا علـى الصـلةِ، والمعطـوفُ علـى الصـلةِ صـلةٌ، فلـو جعلْـتَ (ثُـمَّ الَّـذِينَ كَفَـرُوا) صـلةً **لَـمْ يصـحَّ هـذا التركيـبُ**؛ لأنَّـه لا يوجـدُ فيهـا رابـطٌ يـربطُ الصـلةَ بالموصـولِ؛ لأنَّـه " لا بُـدَّ فـي جملـةِ الصـلةِ مـن ضـميرٍ يعـودُ إلـى الموصـولِ، يربطُهـا بـهِ "[50] إلاَّ إذا خُـرِّجَ علـى قـولِهم: أبـو سـعيدٍ الـذي رويـتُ عَـنِ الخُـدْرِيّ. علـى تقـديرِ: رويـتُ عَنْـه. فبـذلك يكـونُ قـد وقـعَ الظـاهرُ موقـعَ المُضـمرِ، فكأَنَّـهُ قيـلَ: ثُـمَّ الَّـذِينَ كَفَـرُوا بِـهِ يَعْـدِلونَ. **وهـذا الـذي قيـلِ سـيكونُ مِـنَ النّـدورِ، بحيـثُ لا ينبغـي أنْ يُقَاسَ ولا يُحْمَلَ كتابُ اللهِ عليهِ مع وجودِ ما يُرَجِّحُ حمْلَهُ على التركيبِ الصحيحِ الفَصِيحِ.**[51]

يَبْـدُو أنَّ أَبـا حيَّـانَ لَـمْ يَقْبَـلْ تَوجِيـهَ الزمخشـريّ؛ لِأَنَّ التَّركيـبَ النَّاشِـئَ مِنْـهُ لَا يَسْـتَقِيمُ وَالقـانونَ النحـويَّ الـذي يَحْفَـظُ تـرابُطَ التركيـبِ؛ لِتَأديـةِ الغَـرضِ المُبتغـى مِنْـهُ، فَبِسَـبَبِ عَـدَمِ وجـودِ رابـطٍ يعـودُ علـى الاسـمِ الموصـولِ؛ أدَّى إلـى مَنْـعِ التركيـبِ إلاّ إذا حُمِـلَ علـى تركيـبٍ يحتـاجُ إلـى تقـديرٍ، وهـذا مـا أنـدرَهُ! أقـولُ: إذا حُمِـلَ مَعلـولٌ علـى معلـولٍ بَطَـلَ الاسـتدلالُ بِـهِ؛ لـذا نـرى أبـا حيَّـانَ يـرفُضُ كُـلَّ توجيـهٍ غيـرِ مُنسَـجِمٍ والقـرآنَ المجيـدَ. والباحـثُ يُـرَجِّحُ عَطْفَـهُ علـى قولِـهِ الأوَّلِ؛ لِعَـدَمِ وقوعِـهِ فـي محظـورٍ نحـويّ، وملائمتِـهِ المقـامَ، وهـذا مـا اختـارَهُ " كثيـرٌ مِـنَ المُحَقِّقِـينَ مِـن تلـكَ الاحتمـالاتِ أن تكـونَ الجملـةُ معطوفـةً علـى جملةِ الحمدِ "[52] لذا ما كان فصيحًا فلا بُدَّ أنْ يُحْمَلَ على الفصيحِ مَهْمَا ضَاقَتِ السُّبُل

وفـي هـذا المـوردِ سـنرى رَفْضَـه الفصـلَ بـين الصـفةِ والموصـوفِ بـأجنبيّ، وكيـف عـالجَ التركيـبَ؟ قـال تعـالى: ﴿ **اللَّهِ الَّـذِي لَـهُ مـا فِـي السَّـماواتِ وَمـا فِـي الْأَرْضِ وَوَيْـلٌ لِلْكـافِرِينَ مِـنْ عَـذابٍ شَـدِيدٍ (٢) الَّـذِينَ يَسْـتَحِبُّونَ الْحَيَـاةَ الـدُّنْيَا عَلَـى الْآخِـرَةِ وَيَصُـدُّونَ عَـن سَـبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَـا عِوَجًـا أُولَٰئِـكَ فِـي ضَـلَالٍ بَعِيـدٍ** ﴾ **(سورة إبراهيم: آية ٣)**

أعـربَ أبـو البقـاءِ (ويـلٌ) علـى الابتـداءِ، و(للكـافرينَ) خَبَـرُهُ، و(مِـنْ عَـذابٍ شَـدِيدٍ) فـي موضـعِ الصـفةِ لويـلٍ، أي فـي محـلّ رفـعٍ، وهـو لا إشـكالَ فـي إجازتِـهِ بيـدَ أنَّـه لا يجـوزُ أنْ يُعلَّـقَ ب(ويـل)؛ لأنَّـه مصـدرٌ ولا يجـوزُ أنْ يُفْصَـل بينَـهُ ومـا يتعلَّـقُ بِـهِ بـالخَبَر[53]؛ لِأَنَّ " الفصـلَ بـين بعـضِ الصـلةِ وبعضِـها ، لا يجـوزُ" [54] ويـرى الزمخشـريُّ أنَّ قولَـهُ (مِـن عـذابٍ شـديدٍ) لـيسَ فـي موضـعِ الصـفةِ لويـلٍ حتـى وإنْ كـان هنـاك وجـهٌ للاتصـالِ بينهمـا؛ لأنَّ المعنـى أنَّهـم يُوَلْولُـونَ مِـن عـذابٍ شـديدٍ، ويَضِـجُّونَ مِنـه، ويقولـونَ: يـا ويـلاه، كقولِـهِ تعـالى: ﴿دَعَـوا هُنَالِـكَ ثُبُـورًا﴾[55] ويـرى أبـو حيَّـانَ أنَّ ظـاهرَهُ "يَـدُلُّ عَلَـى تَقْـدِيرِ عَامِلٍ يَتَعَلَّـقُ بِـهِ مِـنْ عَـذَابٍ شَـدِيدٍ، وَيُحْتَمَـلُ هَـذَا الْعَـذَابُ أَنْ يَكُـونَ وَاقِعًـا بِهِـمْ فِـي الـدُّنْيَا، أَوْ وَاقِعًـا بِهِـمْ فِـي الْآخِـرَةِ" [56] ويـرى الزمخشـريُّ أنَّ (الـذينَ) تُعْـرَبُ مبتـدأً، وخبرُهـا (أُولَئِـكَ فِـي ضَـلَالٍ بَعِيـدٍ)، أو يكـونُ منصـوبًا علـى الـذَّمِّ علـى تقـديرِ(أذُمُّ) أو مرفوعًـا علـى تقـديرِ خبـرٍ لمبتـدأٍ محـذوفٍ، أي هـمُ

الـذينَ يسـتحبُّونَ. أو أن يكـونَ مجـرورًا فـي موضـعِ الصـفةِ للكـافرينَ.[57] وهـذا الوجـهُ الأخيـرُ الـذي أجـازَهُ الزمخشـريُّ وأبـو البقـاءِ العكبـريُّ لا يجـوزُ عنـدَ أبـي حيَّـانَ؛ لأنَّ **"فِيـهِ الْفَصْـلَ بَـيْنَ الصِّـفَةِ وَالْمَوْصُـوفِ بِـأَجْنَبِيٍّ مِنْهُمَـا وَهُـوَ قَوْلُـهُ: مِـنْ عَـذَابٍ شَـدِيدٍ، سَـوَاءٌ كَـانَ مِـنْ عَـذَابٍ شَـدِيدٍ فِـي موضـعِ الصـفةِ لويـلٍ، أَمْ مُتَعَلِّقًـا بِفِعْـلٍ مَحْـذُوفٍ أَيْ: يَضِـجُّونَ وَيُوَلْولُـونَ مِـنْ عَـذَابٍ شَـدِيدٍ. وَنَظِيـرُهُ إِذَا كَـانَ صِـفَةً أَنْ تَقُـولَ: الـدَّارُ لِزَيْـدٍ الْحَسَـنَةُ الْقُرَشِـيِّ، فَهَـذَا التَّرْكِيـبُ لَا يَجُـوزُ، لِأَنَّـكَ فَصَـلْتَ بَـيْنَ زَيْـدٍ وَصِـفَتِهِ بِـأَجْنَبِيٍّ مِنْهُمَـا وَهُـوَ صِـفَةُ الـدَّارِ، وَالتَّرْكِيـبُ الْفَصِـيحُ أَنْ تَقُـولَ: الـدَّارُ الْحَسَـنَةُ لِزَيْـدٍ الْقُرَشِـيِّ، أَوِ الـدَّارُ لزيدٍ القرشيِّ"** [58]

يَتَكَشَّـفُ لَنَـا أَنَّـى نَـاظَرَ الأَنْدَلُسِـيُّ بَـينَ التَّركيـبِ المُنْبَثِـقِ مِـن توجيـهِ الزمخشـريِّ، والعُكْبُـرِيِّ، وبـينَ التركيـبِ الـذي أتـى بِـهِ؛ لِيُقَـرِّبَ الصـورةَ التـي سـيكونُ عليهـا التركيـبُ القرآنـيُّ لـو قُبِـلَ رأيُهمـا؛ لـذا نُبْصِـرُهُ لـم يُجَـوِّزْ هـذا التركيـبَ؛ لِلفصـلِ بـينَ الصِّـفَةِ، وموصـوفِها بفاصـلٍ أجنبـيٍّ لَـمْ يَكُـنْ مَعمـولًا لَهـا، وهـذا غيـرُ جـائزٍ، والفصـيحُ ألَّا يُفْصَـلَ بينهمـا؛ لـذلك نـراه قـد جـاءَ بتركيـبٍ فصـيحٍ يوافـقُ التركيـبَ القرآنـيَّ الـذي سـيكون عليـهِ؛ لكـي يُقْبَـلَ رأيُهمـا. وهـذا بحـدِّ ذاتِـهِ جُهْـدٍ جَسـيمٍ يَسْـتَنزِفُهُ أبـو حيَّـانَ؛ رعايـةً لِتراكِيبِـهِ، وترابُطِهـا. وأزعـمُ لـو كـانَ قولُـهُ (مِـنْ عَـذَابٍ شَـدِيدٍ) معمـولًا لِويـلٍ؛ لَصـحَّ هـذا التركيـبُ؛ لكونِهم يَتسامحونَ الفصلَ بِه لو كانَ معمولاً لَهَا. ومِمَّا تقدَّمَ أراني أوافقُ أبا حيَّانَ بِما ذهبَ إليه.

النَّتَائِجُ

وَصَلَ البَحْثُ إِلَى النَّتَائِجِ الآتِيَةِ:

1) أَثْبَـتَ البَحْـثُ أَنَّ أَبَـا حَيَّـانَ قَـد رَصَـدَ التَّرَاكِيـبَ المُنْبَثِقَـةَ عَـنِ التُّوجِيهَـاتِ التـي وَجَّهَهَـا المُفَسِّـرونَ المُعْرِبُـونَ للـنَّصِّ المُبَـارَكِ مَـعَ بَيَـانِ مَـا يَنْـتِجُ مِنْهـا مِـنْ تَرَاكِيـبَ فَصِـيحَةٍ، أَوْ ضَـعِيفَةٍ، مُفَكَّكَـةٍ، قَلِقَةٍ، أَوْ مَفْقُودَةٍ، وَلَا أَثَرَ لَهَا فِي كَلَامِ العَرَبِ.

2) وَصَـلَ البَحْـثُ إِلَـى أَنَّ الفَصْـلَ كَـانَ ذَا أَثَـرٍ كَبِيـرٍ، وَصَـدًى وَاسِـعٍ عِنْـدَ أَبِـي حَيَّـانَ؛ إذ كَـانَ لَـهُ دَورٌ بَارزٌ فِي فَصَاحَةِ التَّرْكِيبِ، وَضَعْفِهِ، وَعَدَمِ وُجُودِهِ في لِسَانِهِمْ.

3) بَـيَّنَ البَحْـثُ أَنَّ المَـوَارِدَ التـي وَرَدَتْ فيهـا التَّرَاكِيـبُ الفَصِـيحَةُ المُنْبَثِقَـةُ مِـنَ الفَصْـلِ عِنْـدَ أَبِـي حَيَّـانَ كَـانَ حَظُّهَـا قَلِـيلًا؛ إذ وَصَـلَ عَـدَدُهَا إِلَـى مَـورِدٍ وَاحِـدٍ، وَمَـعَ الضَـعِيفَةِ إِلَـى مـواردَ أَرْبَعَـةٍ، وَمَعَ التي لَا تُوجَدُ فِي كَلَامِ العَرَبِ إِلَى مَوَارِدَ ثَلَاثَةٍ.

4) أَثْبَـتَ البَحْـثُ أَنَّ أَبَـا حَيَّـانَ أَرَادَ حَمْـلَ القـرآنِ عَلَـى أَحْسَـنِ الوُجُـوهِ، وَعَلَـى أَحْسَـنِ إِعْـرابٍ، والابْتِعَادِ عَنِ الوُجُوهِ المُتَعَسِّفَةِ، وَالنَّادِرَةِ التي لَا يَجُوزُ أَنْ يُحْمَلَ عَليها القُرْآنُ الكَرِيمِ.

المَصَادِرُ، وَالمَرَاجِعُ

- **القرآن الكريم.**
- **أصول التفكير النحوي، د. علي أبو المكارم، دار غريب، القاهرة، ط١، 2007.**
- **البحر المحيط في التفسير، محمد بن يوسف الأندلسي، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت_ لبنان، د. ط، ١٤٣١هـ_ ٢٠١٠م.**
- **الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، عبد الرحمن بن محمد الأنباري، المكتبة العصرية، القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ_ ٢٠٠٤م.**
- **التبيان في إعراب القرآن، عبدالله بن الحسين العكبري، تح: علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي، د. م، د. ط، د.ت.**
- **تفسير أبي مسلم الأصفهاني، أبو مسلم الأصفهاني، تح د. محمد خضر نبها، د. م، د. ط، د.ت.**
- **تفسير البيضاوي، عبدالله بن عمر البيضاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت_ لبنان، د. م، د. ط، د. ت.**
- **تفسير الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تح: د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب، جامعة طنطا، ط١، ١٤٢٠هـ_ ١٩٩٩م.**
- **الحجة للقراء السبعة، الحسن بن أحمد الفارسيّ، تح: بدر الدين قهوجي - بشير جويجابي، دار المأمون للتراث، بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.**
- **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، العباس، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، د. م، د. ط، د.ت.**

❖ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت_ لبنان، ط١، ١٤١٥هـ.
❖ شرح الرضي على الكافية، محمّد بن الحسن الأستراباذي، جامعة قار يونس، بنغازي، ط٢، ١٩٩٦م.
❖ شرح المفصل للزمخشريّ، يعيش بن علي الموصلي، دار الكتب العلمية، بيروت_ لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ_ ٢٠٠١م.
❖ الكتاب، عمرو بن عثمان الملقب بسيبويه، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨هـ_ ١٩٨٨م.
❖ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزمخشري، دار الريان للتراث، القاهرة، ط٣، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
❖ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت_ لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ.
❖ معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري الزجاج، تح: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت_ لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ_ ١٩٨٨م.
❖ معاني القرآن، يحيى بن زياد الفراء، عالم الكتب، بيروت_ لبنان، ط٣، ١٤٠٣هـ _ ١٩٨٣م.
❖ معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ١٤٢٠ هـ_ ٢٠٠٠م.
❖ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، عبد الله بن يوسف الأنصاري، تح: د. مازن المبارك، دار الفكر، دمشق، ط٦، ١٩٨٥م.
❖ همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، عبد الرحمن بن بدر السيوطي، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت_ لبنان، ط١، ١٤١٨هـ_ ١٩٩٧م.

الهَوَامِشُ

[1] أصول التفكير النحوي، د. علي أبو المكارم، ٢٩٢.
[2] المصدر نفسه، ٢٩٢.
[3] المفصل في صنعة الإعراب، الزمخشري، ١٧٢. وينظر: شرح المفصل، ابن يعيش، ٣٢٩/٢.
[4] الكتاب، سيبويه، ٣٨٨/٢.
[5] مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، ٦٤٤ – ٦٤٥.
[6] سورة الصافات: (آية ١٧٢)
[7] التبيان في إعراب القرآن ، ٢١/١.
[8] البحر المحيط، أبو حيَّانَ الأندلسي، ٧٣/١. وينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ٧٤/١.
[9] الكشاف، الزمخشري، ٤٦/١.
[10] ينظر إعراب القرآن و إعرابه، ٢/ ٧١٩. وينظر تفسير الراغب الأصفهاني، الراغب الأصفهاني ، ٤٤٧/١.
[11] الكشاف، ٢٥٩/١.
[12] ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف، أبو بكر الأنباري، ٣٨٢/٢.
[13] ينظر: المحرر الوجيز، ٢٩٠/١.
[14] التبيان في إعراب القرآن، ١٧٥/١.
[15] البحر المحيط، ٣٨٦/٢.
[16] المصدر نفسه، ٣٨٦/٢.
[17] ينظر: تفسير أبي مسلم الأصفهاني، أبو مسلم الأصفهاني، تح د. محمد خضر نبها، ١١٧.
[18] ينظر التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء العكبري، ٥٣٧/١.
[19] البحر المحيط، ٦٢/٣.
[20] المصدر نفسه، ٦٤٥/٤.
[21] معاني النحو، فاضل السامرائي، ١٩٣/٣.
[22] ينظر: معاني القرآن، الفراء، ٢٠٠/١.
[23] ينظر: المحرر الوجيز، ٤١٣/١.
[24] ينظر: الكشاف، ٣٤٣/١.
[25] سورة البقرة: (من آية ٩١)
[26] ينظر: البحر المحيط، ٦١/٣.
[27] البحر المحيط، ٦٢/٣.
[28] الدر المصون، ٧٦/٣.
[29] البحر المحيط، ٧٦/٣.
[30] ينظر: معاني القرآن وإعرابه، ٥٦/٥.
[31] ينظر: الكشاف، ٤٠٣/٤.
[32] ينظر: المحرر الوجيز، ١٧٩/٥.
[33] المصدر نفسه، ٤٠٣/٤.
[34] المصدر نفسه، ٥٥٨/٩.
[35] المصدر نفسه، ٥٥٧/٩_٥٥٨.
[36] البحر المحيط، ٥٥٧/٩.
[37] ينظر: الحجة للقراء السبعة، أبو علي الفارسي، ٤٣/٣.
[38] الكشاف، ٣٦٤/١.
[39] لمصدر نفسه، ١٥٩/٣.
[40] ينظر: المحرر الوجيز، ٤٣٧/١.
[41] المصدر نفسه، ٤٣/٣.
[42] المصدر نفسه، ٣٦٤/١.
[43] المصدر نفسه، ٣٦٤/١.
[44] ينظر: المصدر نفسه، ١٥٩/٣.

[45] البحر المحيط، ١٥٩/٣.
[46] المصدر نفسه، ٦٠٤/٣.
[47] الكشاف، ٤/٢.
[48] المحرر الوجيز، ٥٢٤/٤.
[49] المصدر نفسه، ٤/٢.
[50] تفسير البيضاوي، ناصر الدين البيضاوي، ١٥٣/٢.
[51] همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي، ٢٨١/١.
[52] ينظر: البحر المحيط، ٤٣٠/٤.
[53] ينظر: التبيان في إعراب القرآن، ٧٦٢/٢. والبحر المحيط، ٤٠٧/٦..
[54] شرح الرضي على الكافية، الرضي الأستراباذي، ٤٠٦/٣.
[55] سورة الفرقان: (من آية ١٣)
[56] البحر المحيط، ٤٠٧/٦.
[57] ينظر: الكشاف، ٥٣٧/٢. والتبيان في إعراب القرآن، ٧٦٣/٢.
[58] البحر المحيط، ٤٠٧/٦.